

المحاضرة الثالثة

إصلاحات أوروکوجينا : *

وهو حاكم مدينة لجش ، وقد عثر في مدينة الشطرة على لوح سومري مكتوب دونت عليه هذه الإصلاحات ، تكاد تكون إصلاحاته قانوناً لولا خلوها من المقدمة والخاتمة ، وتتمحور إصلاحاته على معالجة الوضع الضرائبي وشؤونه بصورة أساسية ومع ذلك فقد أكدت هذه الإصلاحات على بعض المبادئ المهمة كفكرة الحرية في حدود القانون وان المناصب الوظيفية العالية في الحكومة والإدارة لا تعفي صاحبها من الحدود القانونية، وهذا كله بهدف توفير أساس قانوني لمعاقبة الموظفين وجامعي الضرائب ممن خرقوا التقاليد وتجاوزوا على حقوق المواطنين وممتلكاتهم ، ومما تجدر الإشارة إليه ان إصلاحات اوروکوجينا هي الوثيقة الأولى في تاريخ البشرية التي وردت فيها كلمة الحرية، ودعا الى عدم التمايز بين الغني والفقير ، ففي إحدى النصوص وردت عبارة (بيت الفقير صار بجوار بيت الغني) .

ثانياً : الحضارة المصرية :

لقد أسهمت الحضارة المصرية القديمة في مجال حقوق الإنسان وحرياته بشكلا واضح ، فقد أخضع الإله (رع) إله الشمس ، المجتمع المصري الى قانون زعم أنه من السماء ، وأطلق عليه إسم (ماعت) ، ويمكن استعراض أهم الحقوق التي كفلها هذا القانون :

1- **حق الحياة:** فالمصريين القدماء اعترفوا للإنسان بالحق في الحياة فلم يكونوا يقتلون أبنائهم مثلما فعلت الأمم المتوحشة، فلم يسمح بؤاد الأطفال ، ففي روما مثلا كان للأب الحق في ان يوافق على انتساب ابنه له أو يرفض حتى لو كان ناتج عن زواج شرعي ، أما البنات فلم يكن الآباء ملزمون الا بتربية البنت الكبرى فقط ، ولم يكن مسموح بوجود طفل هزيل أو معوق، كذلك فقد سادت فكرة التضحية البشرية في العالم القديم وتقديم القرابين البشرية للإله، بينما المصريين القدماء كانوا يقدسون حياة الانسان وحق الطفل سواء كان ذكر او انثى في ان يتربى في جو أسري سليم ، والثابت في العديد من الوثائق أن عقوبة الإعدام مثلا كان لا يملك الحكم بها إلا الملك وذلك لشده مساسها بالكيان الإنساني في إفناء الحياة وفي كثير من الأحيان كانت يستعاض عنها بعقوبة فيها فائدة للناس.

2- حق المساواة بين الجميع: كان المصريون جميعاً إمام (ماعت) سواء، فلا فرق بين غني وفقير، ولا رجل وامرأة، ولا بين حر وعبد، ولا بين مواطن وأجنبي الجميع له نفس ، لأن اختلال ذلك النظام يعني الفوضى وهو أعظم الأخطار التي كان الملك والمعبد مكلفين بمنع حدوثها، وكان من حق الجميع تملك العقارات والأراضي وهكذا تخبرنا الوثائق الأثرية، حتى وإن ظلم المواطن من صاحب السلطة فلم يتحرك ذلك المواطن من شكوى المسؤول إلى الملك ، **ومن بين** القصص المصرية القديمة قصة (الفلاح الفصيح) الذي تعرض للظلم من أحد المسؤولين فأرسل للملك شكاوي عرفت في الأدب المصري القديم (شكاوى الفلاح الفصيح) جاء فيها (أقم العدل "ماعت" من الإله فالعدالة تدوم للأبد، وتنزل معك إلى القبر، فالإسم يمحي ولكن الـ "ماعت" تبقى وتدوم) فكان رد الملك عليه أن أعاد له حقه.

3- الحق في الرعاية الصحية: يتضح من خلال سجلات العمال بدير المدينة (بالأقصر) وهو المكان المخصص لإقامة العمال العاملين في حفر المقابر الملكية ، أن العمال كانوا يتمتعون بصحة جيدة وذلك لأنهم كانوا يتمتعون بنظام رعاية صحية حكومي شامل حيث كان يمكنهم أخذ يوم كراحة مرضية مدفوعة الأجر، و الذهاب لإجراء فحوص طبية ، فالأشياء التي نعتبرها إبداعات العصر الحديث، مثل الرعاية الصحية والإضرابات العمالية .

4- حق التعليم: لقد كان للتعليم والمتعلمين في مصر القديمة مكانه كبير حيث كان التعليم متاح للجميع ، فجاء في قانون ماعت (إن المتعلم دون سواء هو الذي يدير أعمال جميع الناس ، أما من يكره العلم فإن الحظ يتخلى عنه) وعن الجهل (ان الذي لا يتعلم لا يعرف إسمه أحد، ومثله مثل الحمار المثقل بما يحمله يسوقه المتعلم ويوجهه).

5- حق العمل والإضراب عن العمل: عرف المصريون منذ القدم تنظيم العمل والتخصص في العمل، ولقيمة العمل كانت الدولة المصرية تكفل العمل للأفراد في أوقات الفيضان حيث لا تصلح فيها الأراضي للزراعة فكانت تقام المشاريع الكبرى مثل بناء الإهرامات أو السدود وغيرها والتي يلتحق بها العمال من كل فج في مصر ، وكان لابد من نظام دقيق يكفل للعمال حقوقهم حيث كفل ذلك النظام للعمال مواقيت عمل مع منحهم إجازة في نهاية كل أسبوع عمل، وكذلك مراعاة الجوانب الإنسانية كما تشير الوثائق الأثرية التي تم العثور عليها في مدينة العمال وحيث نجد أحدهم سمح له بالتغيب عن العمل حتى يحتفل مع إبنته بيوم ميلادها ، وآخر حتى يكون بجوار زوجته عقب ولادتها ، وثالث لأنه ذهب لزيارة مقبرة والده، كما كان المصريون القدماء أول من نفذ إضراب عن العمل في عهد الملك (رمسيس الثالث) ، وإستمر الإضراب لمدة 11 يوم حيث رفضوا العمل وأعلنوا العصيان حتى تصرف رواتبهم أولاً والتي تأخرت 18 يوماً حيث رفعوا

شكواهم لرئيس العمال المدعو (نفر-حتب) وقد كان المسئول عن متابعة مستحقات العمال وجاء فيها (نحن جوعي لقد مضت 18 يوماً بدون طعام) فكتب (نفر-حتب) تقريره ورفعته إلى الوزير (تو) وجاءت كلماته لتعبر عن العمال فقال (إن العمال في بؤس شديد، وعلى حافة الموت جوعاً).

وعلى الرغم من وجود هذه القوانين في مصر القديمة ، إلا أن فترة حكم الفراعنة شهدت تجاوزاً على حقوق الإنسان ، والسبب في ذلك إن فراعنة مصر كانوا يدعون الإلهية لأنفسهم والملك عندما يؤله نفسه إنما يجعلها فوق الجميع فالفرعون كان يعد نفسه إلهاً مطلقاً في الحكم ومصدراً للعدالة والتشريعات التي كانت تصدر عن أرائته ومشئته ، فقال تعالى على لسان فرعون ((وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)) ، وكان الحاكم يستضعف الناس ويستخف بهم حتي وصل به الحال الى حرمان بعضهم من حق الحياة ، فمن لا يتبع دين الفرعون يعاقب بالموت أو النفي.

واستمرت مصر القديمة على هذا الحال حتى زمن الدولة الفرعونية الوسطى ، اذ برز فكر جديد يتجه نحو الإصلاح ، وهو حكم (إخناتون) الذي دعا إلى التوحيد ، وقلل من سلطة الكهنة ، ونادى بالسلام والتسامح والرحمة وتحقيق العلم للجميع ، ومن أقواله (إن مساواة الناس في شؤونهم الدنيوية مثل تساويهم أمام خالقهم).